اجتهادات
من يُطفئ ضوء النهار؟

(حسبوا الإعصار يلوى/ إن تحاموه بسترٍ أو جدار/ ورأوا أن يطفئوا ضوء النهار/ غير أن المجد أقوى/ ومن القبر المُعطَّر/ لم يزل مُنبعثًا صوتُ الشهيد/ طيفُه أثبتُ من جيشٍ عنيد)

ألا نرى كل يومٍ تقريبًا فى فلسطين الآن ما يعبرُ عن هذه المعانى المتضمنة فى قصيدة الشاعرة الرائعة نازك الملائكة؟ وأليست حملاتُ القتل والاعتقال والهدم التى تقومُ بها سلطات الاحتلال بحثًا عن مقاومين يدافعون عن وطنهم وأهلهم، محاولةً لإطفاء ضوء النهار كما وُصف فى قصيدة الشاعرةُ التى اختارتها اليونسكو العربية «الإلكسو» رمزًا للثقافة العربية فى العام الحالى الذى يصادفُ المئوية الأولى لولادتها؟

رأت نازك الملائكة مشاهد لا تختلفُ كثيرًا عما نراه الآن، ووصفتها شعرًا كما لو أنها كانت فى قلبها: (فى دجى الليل العميق/ رأسهُ النشوانُ ألقوه هشيمًا/ وأراقوا دمه الصافى الكريما/ فوق أحجار الطريق/ وأهالوا حقدهم فوق ثراه/ عارُهم ظنوه لن يُبقى شذاه). وفى ختام القصيدة خيرُ تعبيرٍ عن خلود الشهيد وحمق من يقاومُهم (يا لحمقى أغبياء/ منحوه حين أردوه شهيدًا/ ألفَ عمرٍ، وشبابًا، وخلودًا، وجمالاً، ونقاء)

وما قصيدةُ «الشهيد» إلا واحدةٌ من روائع نازك الملائكة، التى لم يُحسم الخلافُ على ما إذا كانت لها ريادةُ الشعر الحر أم لمواطنها بدر شاكر السياب، وهل لقصيدتها «الكوليرا» أم لقصيدته «هل كان حبًا؟». لم تنل حقها فى التكريم خلال حياتها، مقارنةً بالسياب، الأمر الذى أحبطها وأدى إلى انسحابها من الحياة الأدبية العامة فى وقتٍ مبكرٍ من حياتها. ولم تُقدَّر محاولاتُها وضع تصورٍ مُحدَّدٍ للشعر الحر فى كتابها (قضايا الشعر المعاصر) بل على العكس اتُهمت بأنها أرادت أن «تقولبه» على نحوٍ يتعارضُ مع طابعه الذى يرى كثيرُ من أنصاره أنه مُتحررُ من القيود.

وكان فى كثير مما اتُهمت به ظلمُ آلمها، وخاصةً أنها نبهت منذ بداية هذه الحركة الشعرية إلى الحذر من التطرف فيها أو اعتبارها بديلا من أساليب الشعر العربى الكلاسيكى. فليت اختيارَها رمزًا للثقافة العربية هذا العام يكونُ مناسبة لرد الاعتبار لإبداعها الشعرى والنقدى.